



أول ما لفت نظري في خطاب بشار الأسد، أنه جاء بعد مجزرة حلفايا والمليحة الذي ذهب ضحيتها مئات الشهداء من المدنيين العزل، وأن تلك المجازر كما تعلمون جاءت بعد تهديدات الإبراهيمي بوجوب قبول خطته الخبيثة التي تنص على أن يبقى الأسد رئيساً لسوريا حتى العام 2014.

فالأسد يكمل اليوم مسرحيته الدولية المغطاة أمريكاً والمدعومة روسياً وصينياً، فقام بمجازره تلك ليجبر الثوار على القبول بتوصيات الإبراهيمي، ثم ظهر على شاشات التلفاز، حتى يقول إنه متamasك ومستمر في حكم البلاد، وتذكروا ما فعله قبل أيام بكم.

لم يكن الأسد ليخطب دون دفعه معنوية ودون تحركات على الأرض يظهر من خلالها قوته، وهذا ما أراده بالضبط في مجزرتي حلفايا ومليحة الشام.

لكن ومع كل ما تقدم، فقد بدا الأسد في خطابه مهزوزاً لدرجة كبيرة، وخائفاً حتى من مؤيديه، إذ أشار ثوار الداخل، إلى أن قوات الأمن عمدت إلى نقل أعضاء مجلس الشعب ونفر من الشبيحة إلى ثلاثة مواقع مختلفة تمويهاً على الجيش الحر وحماية رئيسهم من الاغتيال.

ولم يصل جمهور الخطاب إلى دار الأوبرا إلا في اللحظات الأخيرة قبل الكلمة.

أضف إلى ذلك أن مصادر للجيش الحر أشارت إلى استقدام أكثر من مائة حافلة من المؤيدين من لبنان لحضور كلمة بشار.

وإن كنا لا نملك وسيلة للتأكد من صحة هذا الخبر، فإنه من المؤكد أن دمشق عاشت تحت حصار من جميع مداخلها، ونقلت إليها قوات عسكرية ضخمة لحماية الرجل.

ومهما يكن من أمر، فإن أول ما لفت نظر كثير من المتابعين هيئه الأسد ولون وجهه المخطوط، وعيشه الغائرتان اللتان

ذكرنا بما قاله المنشقون عن نظامه إن الرجل لا يكاد ينام من كثرة القلق وتزاحم الهموم.

أراد الأسد أن يبدي أنه واثق بنفسه وقدر على النصر، وما ذلك إلا ليرفع معنويات شبيحته المتهاكة أولاً، وليرفض نفسه أمام العالم كجزء من أي حل سياسي في المستقبل.

ولهذا، فقد عمد فوراً إلى التهديد والوعيد وقدرته على قتال الإرهابيين وتخليص البلاد منهم، وطالب السوريين كما زعم بالتماسك الوطني لرد "الكفرة والإرهابيين" عن بلاده.

ولعله قصد في ذلك الاستمرار في تدمير المخابز، ومحطات الوقود والاعتداء على المدنيين العزل.

لا أدرى كيف يحاول الأسد أن يظهر تماسكه لمؤيديه، ويتكلم في الوقت نفسه عن أهمية ضبط الحدود، فلا يضبطها بنفسه إن كان قادراً على ذلك.

وكيف يتكلم الرجل عن النصر، والجيش الحر يقاتل في دمشق منذ أربعة أشهر كاملة، ويسقط على أكثر من ستين بالمائة من أرض سوريا، بينما لا يكاد الأسد يسيطر على عدة أمتار تحيط بقصره فقط.

اعتمد الأسد في حديثه على الهجوم على تنظيم القاعدة "والإرهابيين الإسلاميين"، وكان من الواضح أنه يستفيد بذلك من تصنيف أمريكا لجبهة النصرة كمنظمة إرهابية. ولا نستغرب من ذلك فقد ظننا على الدوام، أن الطرف الذي يعادى الشعب السوري هو أمريكا وحلفائها، وأن مصلحة أمريكا هي بقاء الأسد.

لا أعتقد أن الشبيحة كانوا يهتفون بالمصادفة لبشار والجيش فقط، فإن هذا لم ينبع من سياسة الأسد التي اتبعها منذ بداية الثورة، وهي تدمير سوريا بمن فيها من أجل سلطته. ولهذا نعتقد أن أوامر قد صدرت للشبيحة بأن لا يذكروا اسم سوريا في هتافاتهم، فهو يريد أن يقول مجدداً، المهم أنا وليس أحد سوى ولو كانت سوريا نفسها.

لا أريد أن أخوض كثيراً في تحليل الخطاب، فالشعب السوري لا يعنيه الخطاب ولا قائله، وهو ماض في طريق التحرير بالقوة بقطع النظر عمن يقف مع الأسد وورائه.

ولكنني أريد أن أشير إلى نقطة شديدة الأهمية، وهي أن الأسد يقود معركته العسكرية والسياسية من داخل سوريا، وكذلك الثوار، بينما لا يزال ائتلاف المعارضة يقود تلك المعركة من مكاتبته في مصر.

ولذلك نرى وجوب عودته إلى المناطق المحررة بالسرعة الممكنة والمشاركة بالفعل في ثورة الشعب السوري، وسيكون لهذا أثراً عظيماً في انتصار الثورة السورية.

العصر

المصادر: